Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

الْمُسْتَوَى التَّرْكِيبِيُّ لِلْخَبَرِ فِي رِسَالَةِ الْغُفْرَانِ لِلْمَعَرِّيِّ (دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ)

م. د حسن فاروق نعمان التويجري [1]
[1] وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية ديالى - العراق

[1]hasan.farooq.83@ec.edu.iq

ملخص. تُعَدّ رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي (363هـ ـ 449هـ) من أمهات النصوص الأدبية في التراث العربي، إذ جمعت بين عمق الفكر، وغزارة الثقافة، وروعة الأسلوب. وهي نص غني بالتصوير الفني واللغة الجزلة، ما يجعلها مجالاً خصباً للدراسة النحوية التي تسعى إلى الكشف عن جماليات التركيب ودلالاته. ومن بين عناصر التركيب التي تستحق الوقوف عندها يبرز الخبر باعتباره ركناً أساسياً في الجملة الاسمية، وعنصراً محورياً في الإسناد، ووسيلة لغوية لفهم مقصد المتكلم وكشف أبعاد النص، ويهدف هذا البحث إلى دراسة المستوى التركيبي للخبر في رسالة الغفران دراسة نحوية، من خلال تتبّع أنماطه وصوره المختلفة، والكشف عن أبعاده الأسلوبية. وقد انطلق البحث من إشكالية رئيسية مفادها: كيف وظّف المعرّي صور الخبر المختلفة في بناء نصه، وما دلالات هذا التوظيف؟ وانبثقت عنها أسئلة فرعية: ما أبرز صور الخبر في الرسالة؟ ما القيمة الدلالية للأسلوب الخبري؟، اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ فقام برصد مواضع الخبر في النص وتصنيفها، ثم تحليلها نحويًّا، وربط النتائج بالبعد الأسلوبي والفكري للمعرّي. وتوزعت الدراسة على محاور أساسية: الخبر المفرد بما يحمله من إيجاز وجزالة، والخبر الجملة (اسمية وفعلية) بما يتضمنه من تفصيل وإيضاح، واغراض الجملة الخبرية بما يضيفه من دلالات مكانية وزمانية تثري النص، وأظهرت النتائج أنّ المعرّي لم يوظف الخبر باعتباره عنصراً نحوياً فحسب، بل جعله وسيلة فنية وفكرية للتعبير عن رؤيته الفلسفية والنقدية. كما أن تنوّع صوره يعكس مرونة اللغة العربية، ويكشف عن براعته في تطويع القواعد لخدمة المعنى والأسلوب، وبذلك يبرز البحث القيمة النحوية اللغوية للخبر في نص أدبي تراثي متميز، مؤكداً أن النحو العربي علم حيّ قادر على الإسهام في كشف جماليات النصوص وإضاءتها.

العدد السادس عشر – آذار – 2026 / March

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

الكلمات المفتاحية: المستوى التركيبي، التحليل النحوي، الخبر، أبو العلاء المعريّ، رسالة الغفران.

Abstract. Al-Ma'arrī's Risalat al-Ghufran (pp. 363-449) is one of the most significant literary texts in the Arabic heritage, as it combines the depth of thought, the richness of culture, and the diversity of Islamic heritage. It is a text abundant in rhetorical, artistic, and linguistic dimensions, which renders it a fertile field for linguistic studies that seek to uncover the aesthetic features of structure and meaning. Among the elements of syntactic structure deserving of investigation is the predicate (al-khabar), which gains prominence when considered a fundamental component of the nominal sentence and a stylistic means to clarify the intended meaning. This study aims to examine the syntactic level of the predicate in Risalat al-Ghufran by exploring its functional, stylistic, and semantic dimensions. The research investigates the various forms of the predicate, its stylistic roles, and the significance it adds to the text. It also seeks to reveal the aesthetic value of the predicate as a grammatical category, highlighting the most important forms of the predicate in the text and analyzing them according to their syntactic, semantic, and stylistic functions. The study employs the descriptive-analytical method, tracing the occurrences of the predicate in the text and classifying them according to specific functions and stylistic patterns. It identifies the nominal predicate (al-khabar al-mufrad), the clause predicate, and the semi-sentence predicate (prepositional phrase and adverbial phrase), including their contextual implications, semantic contributions, and rhetorical effects. The results indicate that al-Ma'arrī did not use the predicate merely as a grammatical constituent, but rather transformed it into a stylistic and expressive device that reflects the flexibility of Arabic and its capacity to convey philosophical and intellectual depth.Moreover, the multiplicity of predicate types in Risalat al-Ghufrän underscores the aesthetic and stylistic value of syntactic analysis and demonstrates that grammatical study can play a central role in unveiling the literary beauty of classical texts. This confirms that Arabic grammar is not only a formal discipline but also a dynamic tool for the appreciation and interpretation of literary discourse.

Keywords: syntactic level, grammatical analysis, predicate, al-Ma'arrī, Risalat al-Ghufrän.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

المقدمة

يُعَدُّ القرن الرابع والخامس الهجريين من أخصب العصور الفكرية والأدبية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، إذ شهدت الساحة الثقافية فيهما تلاقحاً بين تيارات متعددة: فلسفية، دينية، أدبية، ولغوية. وفي هذا المناخ الفكري المزدحم بزخمه وتحدياته عاش أبو العلاء المعري (363هـ ـ 449هـ)، ذلك الشاعر الفيلسوف الذي جمع بين دقة النظر العقلي، وعمق الحس اللغوي، وحدة النقد الاجتماعي والفكري. لقد ترك المعرّي بصمته الواضحة في التراث العربي عبر مؤلفات متعددة، من أبرزها رسالة الغفران، التي شكّلت علامة فارقة في الأدب العربي لما فيها من مزج بديع بين الخيال الفني والنقد اللاذع والفكر العميق.

إن رسالة الغفران ليست مجرّد نص أدبي يُقرأ للاستمتاع بجماله، بل هي أيضاً مرآة عاكسة لثقافة عصرها، وحقل خصب للدراسات النقدية واللغوية والنحوية. فهي نص ثريّ بالتراكيب المتنوعة، والمستويات اللغوية المتعددة، بدءاً من المفردات والأساليب، وانتهاءً بالبنية التركيبية التي تنتظم الجملة والفقرات. ولعلّ هذا الثراء النحوي فيها هو ما يجعلها مادة خصبة للدارسين، حيث تمثل مثالاً حيّاً على قدرة اللغة العربية على استيعاب الأفكار العميقة، وتجسيد المعاني الرفيعة، وبثّها في قوالب فنية محكمة.

ومن بين عناصر التركيب النحوي في العربية يبرز الخبر بوصفه ركناً أساسياً في بناء الجملة الاسمية، وعنصراً كاشفاً لمقاصد المتكلم. فالخبر هو الجزء المكمّل للمعنى، وبه يتحقق الإسناد، ومن خلاله تتضح دلالات النص ومعانيه. وقد أولى النحاة القدماء الخبر اهتماماً واسعاً، فبيّنوا أنواعه، وصوره، وأحكامه، وتوسعوا في دراسته لصلته الوثيقة بالإعراب والدلالة. غير أنّ الوقوف عند القواعد وحدها لا يكفي لإدراك ثراء الخبر، ما لم يُطبَّق على نصوص أدبية حيّة تظهر فيه مرونة التراكيب وجماليات الأسلوب.

وبداهة فان اختلاف تركيب العلاقات اللغوية يقود إلى اختلاف المعاني الذي بدوره يولد تأثيرات مختلفة(عبدالمطلب، 1994م: 255)، وتأتي أهمية التركيب في كونه يمثل مجموعة الفاظ منسقة على نحو معين لأداء معنىً ذهني أو معنىً شعوري تستمد دلالتها من مفردات الدلالات اللغوية للألفاظ وترتيبها في نسق معين(سيد قطب، 1954م: 14)، ويرتفع تركيب العبارة في الحسن والقول بمطابقته للاعتبار المناسب (مقتضى الحال) وينحط بعدم مطابقته له(القزويني، 2003م: 33).

إن اختيار موضوع المستوى التركيبي للخبر في رسالة الغفران للمعرّي ينبع من قناعة الباحث بأن الخبر ليس عنصراً نحوياً جامداً، بل هو عنصر فاعل يشارك في تشكيل النص وبنائه، ويكشف عن جمالياته وأبعاده الفكرية. ومن خلال تتبع صور الخبر في هذه الرسالة يمكن الوقوف على مدى تنوعها وتعدد أنماطها: من الخبر الابتدائي إلى الخبر الطلبي، أو الخبر الانكاري. كما يمكن الكشف عن دور هذه الصور في

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

إثراء النص، وتلوين أسلوبه، وإضفاء الحيوية على معانيه، وكما اهتم النحاة بتقسيم الخبر؛ فقد أشاروا إلى أنه يكون مفرداً، أو جملة، أو شبه جملة. وذكر ابن مالك في ألفيّته قوله: "والخبر الجزء المتم الفائدة" (سيبويه، 1983م: 24/2)، مؤكداً على أن صور الخبر المختلفة تؤدي دوراً واحداً هو إتمام المعنى. أمّا السيوطي في الهمع الهوامع فقد بيّن أن تنوّع الخبر إنما يعكس تنوع أساليب العرب وثراء تعبيرهم(السيوطي، 2006م: 126).

ولعل هذا البحث يسعى إلى سدّ فراغ في الدراسات النحوية التطبيقية، إذ لم يُفرد موضوع الخبر في رسالة الغفران بدراسة مستقلة تتناول مستوياته التركيبية النصية. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، فهي محاولة للإسهام في إبراز القيمة النحوية والجمالية للخبر في نص تراثي فريد، وتأكيد على أن النحو ليس مجرد قواعد نظرية، بل هو أداة لفهم النصوص وإدراك أسرارها.

نخلص من هذا إلى ان الاهتمام في هذا البحث يجب ان يتوجه إلى دراسة المستوى التركيبي للخبر لـ (رسالة الغفران) بهدف فحص الوحدات اللغوية التي تكشف عن السمات اللغوية وتسهم في ابراز القيم الجمالية للنص، كما تكشف عن الاثر المتولد من تواشج ثنائية التركيب والجملة الخبرية بما يمنح الخطاب تميزه عن غيره من الاساليب ولاسيما ان دراسة هذا المستوى هي دراسة للإبداع الفردي وتصنيف للظواهر الناجمة عنه(فضل، 1992م: 179). وقد تم تقسيم البحث إلى مبحثين رئيسيين (نظري، وتطبيقي). سأقدم لكم نبذة عن تلك المباحث على النحو التالي: المبحث الأول (نظري): يشمل هذا المبحث: المستوى التركيبي، تعريف الخبر لغة واصطلاحا، ابو العلاء المعري، رسالة الغفران وأهمّيتها في التّراث العربيّ. والمبحث الثاني (تطبيقي): يشمل دراسة نحوية للمستوى التركيبي للخبر في رسالة الغفران للمعري

1. المبحث الاول (النظري): يشمل هذا المبحث:

أشير في مستهل هذا المبحث إلى أن التعاريف والمفاهيم التي سيتم التطرق إليها هنا قد لا تسع كل ما قيل في هذا الشأن، وإنما الأمر قائم على محاولة متابعة بعض هذه أو أبرزها على الأقل، لأن الإحاطة الشاملة بكل ذلك هو شيء قد يتعذر في مثل هذا المفاهيم المقام. ويمكن أن نلاحظ منذ الوهلة الأولى أن بعض هذه المفاهيم يتشابه إلى درجة التطابق أحيانا، بينما يختلف أحيانا أخرى ليبلغ طور التباين وربما التعارض أيضا. وأيا ما يكن الشأن، فان إيراد شيء من هذه التعريفات في ثنايا هذا المدخل كان هدفه إعطاء صورة عن بعض هذه المفاهيم مما قد يسهم في بلورة الرؤى وإيضاح المسلك ضمن هذا البحث.

اولا- المستوى التركيبي:

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

يُعد المستوى التركيبي أحد أبرز المستويات اللسانية التي أولى لها الدارسون اهتمامًا كبيرًا، سعيًا منهم لاستخلاص القواعد التي تنظّم بناء الجمل والنصوص. وقد تمحور اهتمامهم، على وجه الخصوص، حول طبيعة التركيب اللغوي وآلية نشوئه، إذ تساءلوا إنْ كانت بنيته ثابتة على الدوام، أم أنها تخضع للتغير تبعًا للدلالات والمقاصد المتنوعة.

وفي مرحلة لاحقة، توسّع هذا الاهتمام ليشمل العلاقة بين الشكل التركيبي والدلالة المنبثقة عنه، وهل هذه العلاقة قابلة للتبدل، أم أنها بدورها ثابتة لا تتغير، ويُنظر إلى المستوى التركيبي على أنه من أكثر المستويات اللغوية ملاءمة لتمكين المرسل من توظيفه في إبراز الاستراتيجية التداولية للخطاب. وقد كان عبد القاهر الجرجاني من أوائل من أسّس لهذا الفهم من خلال تناوله للتركيب بوصفه وسيلة للتعبير عن مقصد المتكلم؛ حيث إن "المستوى التركيبي من أنسب المستويات اللغوية التي تسمح للمرسل بتوظيفه لإبراز استراتيجية الخطاب تداوليًا" (الشهري، 2004: 71). في هذا السياق، يظهر الارتباط بين البنية التركيبية والسياق التداولي، إذ تُسخّر إمكانات التركيب لخدمة الأهداف التواصلية التي تربط منتِج النص بالمتلقي. كما يشير هذا التوجه إلى ضرورة تكييف الشكل التركيبي حسب المتطلبات الدلالية والتداولية، دون التقيد بقوالب شكلية ثابتة.

وقد بدأت العناية بالتركيب منذ بدايات التفكير البنيوي، مع الإشارة إلى أن عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) قد قدّم رؤى مبكرة في هذا الحقل، إذ أن "نظرته إلى نسق الكلام وارتباط أجزائه ببعضها جعلته يتخذ النظم أساسًا في نقد الكلام، ولذلك كانت الألفاظ عنده رموزًا للمعاني المفردة التي تدل عليها هذه الرموز" (مطلوب، 1987: 98). لقد جاءت نظريته في النظم لتؤكد أهمية التركيب بوصفه المسلك الموصل إلى المعنى، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المعنى لا يتشكل من التركيب وحده، بل إن هناك عوامل أخرى تسهم في بنائه، أهمها فعل القراءة الذي يجعل من النص كيانًا متجددًا، فالنص، حسب هذا التصور، لا يتمتع باستقلالية مطلقة، بل يتكون من خلال القراءة؛ إذ تُعد عملية القراءة إعادة تشكيل للحدث الدلالي. وبالتالي، لا يقتصر مفهوم النص على اللفظ المنطوق أو المكتوب، بل يشمل أيضًا كل ما هو مرئي ويؤدي وظيفة دلالية (فرج، 2008: 15).

ويمثّل النظام النحوي الإطار الذي ينظّم طرق وأساليب التركيب في لغة معينة. ومع أن هذا النظام غالبًا ما يُطبّق على الجملة، فإنه يمكن تعميمه على النص أيضًا، باعتبار الجملة وحدة تركيبية داخل النص. من جهة أخرى، يرى فرديناند دي سوسير (1857–1913) أن اللغة تُعد نظامًا من العلامات التي تجعل التعبير عن الأفكار ممكنًا، إذ يقول: "لقد اتفق الفلاسفة وعلماء اللغة دائمًا على أنه لولا الإشارات لما استطعنا أن

نميز تمييزًا واضحًا وثابتًا بين فكرتين، فلولا اللغة، لأصبحت الفكرة شيئًا مبهما" (دي سوسير، 1988: 131).

ثانيا- تعريف الخبر لغة واصطلاحاً:

الخبر في اللغة يُفَسَّر بمعنى الإعلام؛ يُقال: "أخبرته خبرًا"، أي أعلمته، والخبر يعني العلم والمعلومة (ابن فارس، 1997م، 133).

أما الخبر في الاصطلاح، فهو "القول الذي يقتضي نسبة معلومة إلى أخرى، سواء بالنفي أو الإثبات، ويُشترط فيه أن يكون محتملًا للصدق أو الكذب" (الرازي، 2004م، 74). وعند تحليل النصوص، لا بد من التمييز بين نوعين من الجمل: الجملة الخبرية التي تُخبر عن معنى وتصفه، والجملة الإنشائية التي تُنشئ المعنى ابتداءً وتطلب حدوثه. وهذا التمايز بين الخبر والإنشاء يترتب عليه اختلاف دلالي في الخطاب (الراغب، 2005م، ص57).

من هذا المنطلق، تقدم اللغة نوعين من الجمل لمستخدميها: الجملة الخبرية والجملة الإنشائية. فالجملة الخبرية هي تلك "التي يمكن أن توصف بالصدق أو الكذب، بغض النظر عن قائلها" (السامرائي، د.ت، 194). وعلى العكس منها، لا تُحتمل الجملة الإنشائية الصدق أو الكذب بطبيعتها، إذ أنها لا تُنبئ عن واقع، بل تُنشئه، وقد ذهب عدد من البلاغيين إلى أن الجملة الخبرية تمثل الأساس في معاني الكلام، إذ تُبنى عليها سائر المعاني الأخرى وتُشتق منها (الجرجاني، 2001م، 292).

وفيما يخص مدى صدق الخبر أو كذبه، فقد تباينت آراء العلماء. وقد لخّص القزويني هذا الجدل بقوله: "اختلف الناس في حصر الخبر في الصادق والكاذب، فذهب جمهورهم إلى هذا الحصر. ثم اختلفوا، فقال الأكثر: صدق الخبر هو مطابقة الحكم للواقع، وكذبه هو عدم مطابقته له، وهذا هو القول المشهور" (القزويني، 2003م، 13).

وخلاصة القول، إن الخبر هو كل كلام يمكن أن يُوصف بالصدق أو الكذب في ذاته، بغض النظر عن قائله. وبناءً على هذا، فإن الأخبار الواردة في القرآن الكريم أو الحديث النبوي أو الحقائق العلمية والبديهيات التي لا تقبل التشكيك، تُستثنى من هذا التعريف، لأنها وإن كانت إخبارًا، لا تُحتمل الكذب لعصمة مصدرها أو لبداهة مضمونها (مطلوب، 1999م، 106).

ويُعد الكلام الخبري أكثر شيوعًا واستعمالًا في اللغة العربية مقارنة بالكلام الإنشائي (الشمري، 2001م، 7). ويُشير عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية الخبر في البلاغة قائلاً: "الخبر هو أعظم أغراض الكلام شأناً؛

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لما فيه من الصور المتعددة والصناعات البلاغية العجيبة، وفيه تتجلى المزايا التي يُتفاضل بها في الفصاحة" (الجرجاني، 1366هـ، 406).

ثالثًا – أبو العلاء المعرّي:

قال ابن خلكان في ترجمته لأبي العلاء المعري: «هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التنوخي المعرّي» (ابن خلكان، د.ت: 113)، فأصله العربي واضح، إذ ينتمي إلى قبيلة تنوخ، وهي من القبائل العربية ذات المكانة العالية في الحسب والنسب، وقد عُرف عنها كثرة الخطباء والبلغاء والشعراء، كما أن معظم قضاة وفصحاء وأدباء مدينة المعرة، ومنهم أبو العلاء، ينتمون إلى بني سليمان، قومه.

وُلد أبو العلاء المعري في مدينة المعرة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة، ونشأ بها، وقضى معظم حياته فيها. وقد وصفها الرحالة ابن بطوطة بقوله: «المعرة مدينة صغيرة حسنة، أكثر شجرها التين والفستق، ومنها يُحمل إلى مصر والشام، وبخارجها على فراسخ منها قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز» (ابن بطوطة، 2006م: 56).

ويُستشف من هذا الوصف أنها مدينة صغيرة، ضيقة، لكنها جميلة، وهو ما قد يدفع بعض النفوس الضعيفة إلى اختيارها ملاذًا للطمأنينة، بعيدًا عن الأضواء والأنظار العامة والخاصة، اتقاءً للبطش أو الإيذاء المعنوي والنفسي. أما الأماكن الواسعة، فهي غالبًا ما تكون مرتعًا للنفوس المريضة المتملقة، الباحثة عن الاندماج القهري في مظاهر الحياة ومجاري القوة، ما يجعلها قريبة من السلطة وأهل النفوذ.

ومن ضمن الرحالة الذين زاروا المعرة كذلك، الرحالة الفارسي ناصر خسرو، الذي وصفها بأنها: «مدينة عامرة، يُزرع فيها القمح الكثير، وأشجارها التين والزيتون والفستق والعنب واللوز وهي كثيرة، وماؤها من الأمطار ومن الآبار» (ناصر خسرو، 1993م: 57)، ويبدو من خلال هذا الوصف أن المدينة ذات طابع بدوي، تعتمد في مائها على الأمطار، وسكانها يميلون إلى العصبية القبلية أكثر من الطابع المدني، وقد أثّر هذا المحيط الجغرافي والبشري في تكوين أبي العلاء الفكري والمعنوي، حيث وصف المعرة مرارًا بالوهن والضعف وقلة الموارد، ما يدل على أنه لم يختر الإقامة بها طوعًا، بل بقي فيها بدافع الانتماء إلى الأهل والوطن، خاصة بعد تجربة مدن أخرى.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

أما عن سبب تسميتها بـ "معرة النعمان"، فقد ورد أن النعمان بن بشير الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي له ولد أثناء ولايته على حمص، فدفنه بالمعرة، فعُرفت باسمه، وكانت تُسمى قبل ذلك بـ"ذات القصور". كما قيل إن «النعمان» اسم لجبل مشرف عليها فسُميت به (ابن بطوطة، 2006م: 479)، وقد أكد ياقوت الحموي هذا الرأي بقوله: «النعمان هو النعمان بن بشير، صحابي اجتاز بها، فمات له ولد بها، فدفنه وأقام عليه، فسميت به» (ابن خلكان، 1948م: 116)، ومهما يكن من أمر هذه التسمية، فإن المعرة تمثل الموطن الأصلي لأبي العلاء المعري، الذي قضى فيها معظم حياته. وتقع المدينة حاليًا بين حلب وحماة، إذ تبعد عن حلب حوالي ثمانين كيلومترًا، وعن حماة ثمانية وخمسين كيلومترًا، وهي مركز قضاء يتبع إداريًا لمحافظة حلب، وتضم عددًا من المساجد، من أبرزها المسجد القديم الذي يوجد به ضريح أبي العلاء المعري.

وقد ذكر ياقوت الحموي أسماء مؤلفات أبي العلاء ودوافع تأليفها، وهي متعددة المناهل والأغراض، وتشمل الشعر والنثر. ومن أبرز كتبه: (الفصول والغايات، السادان، إقليد الغايات، الأيك والغصون، تضمين الآي، سيف الخطبة، مجد الأنصار في القوافي، دعاء الساعة، وقفة الواعظ، سجع الحمائم، ديوانه سقط الزند، لزوم ما لا يلزم، إراحة اللزوم، خماسية الراح، ضوء السقط).

أما رسائله، فهي كثيرة، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: الرسائل الطويلة التي تجري مجرى الكتب المصنفة، مثل: (رسالة الملائكة، الرسالة السندية، رسالة الغفران، رسالة الفرض)، والرسائل المتوسطة، ومنها: (رسالة المنيح، رسالة الإغريض)، والرسائل القصيرة، وهي رسائل مختصرة تُكتب على عادة المكاتبة اليومية، ويقال إنها تبلغ أربعين جزءًا (الحموي، د.ت: 1/328-334).

رابعا- رسالة الغفران وأهمّيتها في التّراث العربيّ:

تُعدُّ رسالة الغفران من أعظم ما أُنتِج في النثر العربي القديم، ومن أبرز إبداعات أبي العلاء المعري (363-449هـ)، إذ تُجسّد ذروة فنية في أدب الرسائل، وتمثل ثمرة خيال أدبي واسع وعميق (المعري، 1997: 9). كتبها المعري ردًّا على رسالة وُجّهت إليه من "علي بن منصور الحلبي" المعروف بابن القارح، وهو أديبٌ وشاعر عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، يُلقّب بـ"دوخلة" ويُكنّى "أبا الحسن".

حظيت رسالة الغفران باهتمام بالغ من قِبَل العلماء والأدباء والباحثين لما تتضمنه من ثراء لغوي، وبُعد جمالي قادر على أسر الحسّ والوجدان، فضلاً عن ما تحمله من خيال قصصي مبتكر، وتراكيب لغوية وأدبية راقية، حيث عمد المعري إلى شرح المفردات واستحضار شواهد شعرية تؤكد المعاني وتُعمّق الدلالات. يتجاوز النص الجانب الأدبي ليشمل مجالات متعدّدة، من بينها تاريخ الشعر، والمذاهب الفلسفية، والمعتقدات

الدينية، والفكر النقدي. وهو نص قصصي بطبيعته، طوّره المعري بأسلوب فنيّ يُبرِز فيه جماليات اللغة والخيال. وقد اختار مجالًا قصصيًا حرًا ومفتوحًا يرتبط بعالم الغيب، فأطلق فيه العنان للخيال واللغة، متجاوزًا القيود التقليدية للزمان والمكان، حيث ذابت الحدود بين الواقع واللاواقع، وبين الأحياء والجمادات، مما أسهم في خلق تجربة فنية فريدة، بلغة مبتكرة وأسلوب مغاير.

الرسالة في جوهرها رحلة أدبية خيالية مدهشة، بطلها ابن القارح، الذي يحاور الشعراء والأدباء واللغويين في العالم الآخر. استهلّ المعري الرسالة بمقدمة مدح وصف فيها ابن القارح، مستعينًا بآيات قرآنية، وأبيات شعرية، وأمثال، ورموز لغوية، وقد عمد إلى شرح الأبيات وتحليلها لغويًا، وعروضيًا، وبلاغيًا.

ويستمر المعري في نسج الحوار مع أولئك الشعراء، فمنهم من نال الغفران بسبب إبداعه الشعري، ومنهم من حُرِم منه لعدم بلوغه ذروة القول الشعري. ومن هنا، تبدو رسالة الغفران بمثابة رد أدبي تخييلي على رسالة ابن القارح، التي لم تكن قصة بالمعنى الفني، بل أقرب إلى خواطر شيخٍ حلبي عبّر فيها عن هواجسه الدينية ورغبته في التوبة بعد عمر طويل، متسائلًا: "كيف يصنع من عنده أن التوبة تصحّ من ذنب مع الإقامة على آخر؟ فلا حول ولا قوة..."(المعري، 1997: 10).

تحمل الرسالة قيمة فنية وجمالية بالغة، تجمع بين قضايا الدين، والحياة، والأدب، في إطار رحلة تأملية عميقة تعبّر عن تصورات المعري الدينية وهواجسه الذاتية، مستخدمًا أسلوبًا ساخرًا يتجاوز حدود المنطق والعقل أحيانًا. كما نلمس فيها موقفًا واضحًا من قضايا اللغة والأدب، يتجلى من خلال الحوار الذي يدور بين ابن القارح والشعراء المختارين بعناية من قِبل المعري، ليتم بذلك تمرير خطاب نقديّ جديد لم يسبق أن طُرِح في المدونات الأدبية النثرية آنذاك، لا سيما في فن الترسل. تتميّز رسالة الغفران عن غيرها من نصوص النثر القديم والحديث بأنها تمثّل فضاءً رحبًا للتعبير عن أفكار المعري النقدية وشعوره تجاه عصره. وكان الشعر وسيلته المفضّلة للتعبير، لما له من قدرة على الإيحاء وربط الأحداث، فأسهم ذلك في توليد نمط أدبي فني جمالي فريد، جسّدته تلك المسامرات التي تضمّنت قضايا نقدية، بأسلوب يختلف عن أساليب النقاد التقليديين، ولقد عالج المعري هذه القضايا من خلال السرد والحوار، أحيانًا بإبداء رأيه الصريح، وأحيانًا بتركها مفتوحة للتأويل، مما يُضفي على الرسالة طابعًا نقديًا تخييليًا اتّخذ من اللغة أداةً للتعبير عما كان يشغله من قضايا، فجاء طرحه بأسلوب فنيّ متفرّد، جعل من الخيال وسيلةً لتحقيق غايته النقدية والأدبية(المعري: 11).

2. المبحث الثاني (التطبيقي): المستوى التركيبي للخبر.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

إن قضية التركيب من القضايا المهمة في العمل اللغوي لان ذلك العمل هو عبارة عن "بناء لفظي"(كراهام هاف، 1980م: 49)، ويجب أن يستند هذا البناء إلى تركيب يتشكل من خلاله ويكون خاضعاً لأنظمة القواعد النحوية التي وضعها النحاة، ومعروف أن النحو "نشأ فناً قبل أن يكون علماً أي إن هذه الطرق للأداء في اللغة العربية قد التزمت باطراد في تركيبها وأساليبها ومرنت عليها ألسنة العرب وتمكنت من طبائعهم قبل ان توضع لها القواعد النحوية المجردة وضعاً علمياً وتدرس دراسة مستقلة لتعرف وتحتذى"(مبارك، 1989م: 111/3)، ومن ثم التزمت قواعد النحو تلك لأجل وضع الضوابط المميزة بين التراكيب المختلفة وتأديتها للمعنى ولمعرفة وظيفة كل لفظ بالنسبة إلى موقعه في الجملة(المعري، 1997م: 112)، ومن ثمَّ ارتبطت مسائل النحو ارتباطا وثيقاً بعلم المعاني وهذه ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم "أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها وأن الاغراض كامنة فيها حتى يكون الإعراب هو المستخرج لها وانه المعيار الذي يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه"(الجرجاني، 1366هـ: 23-24).

في ضوء ما مرَّ بنا من مفاهيم للدلالة التركيبية وللأسلوبية النحوية ولمعاني النحو أو النظم سيقوم البحث في هذا المبحث على الكشف عن السمات التركيبية المهيمنة التي شكلت ملمحاً اسلوبياً بارزاً وعنصراً فاعلاً في بناء نصوص (رسالة الغفران).

وفي دراسة النصوص لابد من الوقوف على انواع الجمل وهي اما ان تخبر عن المعنى وتصفه وهذا ما يعرف بالخبر أو ان تنشئ المعنى ابتداءً وتطلب حدوثه وهذا يدعى بالإنشاء ولا شك ان في اختلاف التعبير بالخبر والإنشاء يتبعه اختلاف في الدلالة المعنوية للخطاب(الراغب، 2005م: 57).

ويُعدّ الكلام الخبري أكثر أنواع الكلام شيوعًا في اللغة العربية مقارنةً بالكلام الإنشائي (الشمري، 2001م: 7). وقد أشار إلى أهمية الخبر عبد القاهر الجرجاني بقوله: "الخبر، وسائر أنواع الكلام، هي معانٍ يُنشئها الإنسان في نفسه، ويُديرها في فكره، ويُناجي بها قلبه، ويُراجع فيها ضميره. وتُوصف هذه المعاني بأنها مقاصد وأغراض، ويُعدّ الخبر أعظمها شأنًا، لأنه يتجلّى بصور متعددة، وتُستعمل فيه صنائع بلاغية مدهشة، وفيه تتحقق المزايا الكبرى التي يُفاضل بها في الفصاحة" (الشمري: 406).

وسيكون البحث في موضوعة الخبر على ثلاثة اقسام:

1. البحث في أضرب الجملة الخبرية ودلالاتها.
2. البحث في صيغ الجملة الخبرية.
3. البحث في الاغراض الحقيقية والمجازية للجملة الخبرية.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

اولاً. أضرب الخبر:

تتنوع أساليب التعبير عن الخبر في اللغة تبعًا لاختلاف حال المخاطَب (الهاشمي، 1999م: 45)، فكل جملة خبرية تحمل معنىً يتحدد بحسب تركيبها. فإذا وردت الجملة من دون أدوات تأكيد، دلّت على معنى معين، أما إذا أُكدت بأداة أو أكثر، اكتسبت دلالة مغايرة. وقد تناول عبد القاهر الجرجاني هذه الفروقات، مشيرًا إلى دقتها وخفائها على كثير من الناس، فقال: "اعلم أن مما يصعب إدراكه في هذا الباب وجود فروق دقيقة تخفى على العامة وكثير من الخاصة (...) فالمعاني تختلف باختلاف الألفاظ؛ فقولهم (عبد الله قائم) يُعد إخبارًا بقيامه، أما (إن عبد الله قائم) فهو رد على سؤال، و(إن عبد الله لَ قائم) يأتي جوابًا على إنكار شخص لقيامه" (الجرجاني، 1366هـ: 242).

والخبر يأتي على ثلاثة أضرب:

1. الخبر الابتدائي.

الخبر الابتدائي هو الخبر الذي يخلو من أدوات التوكيد، ويُستخدم عندما يكون المتلقي خالي الذهن من الحكم الذي يتضمنه الخبر (مطلوب، 2007م: 465/2)، ويُعد هذا النوع من أكثر أنواع الخبر شيوعًا في "رسالة الغفران"، إذ وردت الجملة الخبرية الابتدائية في 368 موضعًا، أي بنسبة 45.71% من مجموع الجمل الخبرية البالغ عددها 805 جمل.

ويُلاحظ أن هذا النوع من الجمل يُستخدم غالبًا عند تفصيل فكرة ما، حيث يلقي المعري الخبر إلى ابن القارح وكأن الحكم صادر منه أولًا، على اعتبار أن المتلقي (ابن القارح) لا علم له به مسبقًا. وتُعد هذه السمة أبرز ما يميز نصوص الخبر الابتدائي. ومن الأمثلة على ذلك: "والأسودان اللذان ذكرهما اليشكري في قوله:

فهداهم بالأسودين وأمر****الله بلغٌ يشقى به الأشقياء

والأسودان هنا هما: نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء، وأبو الأسود الذي ذكره امرؤ القيس في قوله:

وذلك في خبرٍ جاءني****ونبّأته عن أبي الأسود

ويُقال إن (أبا الأسود الدؤلي) لم يفارق المعري طرفة عين، سواء في حال الراحة أو في التعب. كما قارن بينه وبين سويد بن أبي كاهل الذي ردّ على المناهل، وسويد بن الصامت الذي صاحب الناس في السراء والضراء، وسويد بن صُميع الذي ساعدهم في أيام العطاء والنعيم (المعري، 1997م: 136–137).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ويقول المعري أيضًا في أحد المواضع: "ويُقابل تلك المدامة أنهارٌ من عسلٍ مصفى، لم تجمعه نحلٌ غادية إلى الأزهار، ولم يُصنع في مواقد خفية، بل قال له العزيز القادر: كن، فكان، وبكرمه منح الإمكان. وآهٍ لذلك العسل الذي لم يُطه بالحرارة؛ فلو جعله الشارب الحار غذاءه الدائم، لما مسّه مرض ولا لبس ثوب المحموم"، ويضيف في موضع آخر: "ولو خالط شيءٌ من عسل الجنان ما خلقه الله – سبحانه – في هذه الدنيا الخادعة، كالصاب والمُقِرّ والسَّلْع والجعدة والشيح والهبيد، لتحوّل كل ذلك – وما شابهه من المُنفّرات – إلى ما يُعد من أطيب اللذائذ. فصار الصاب، الذي كان مُرًّا، كأنه عصير من قصب السكر" (المعري: 164).

وقد ورد الخبر الابتدائي كذلك عند شرح أبي العلاء لمعاني الكلمات الغريبة أو قليلة الاستخدام، مثل قوله: "حواري بلمص: أي الفالوذ"، "حواري بكشيء: من قولهم كشأت اللحم إذا شويته"، "ولو قيل: حواري بلزء، من قولهم لزأ إذا أكل، لما كان بعيدًا"، "وحواري بصرب: أي اللبن الحامض"، "والقار: شجر مرّ ينبت في الرمل"(المعري: 155–157).

فالملاحظ من مواضع الخبر الابتدائي انها جاءت خالية من المؤكدات، كما انها وردت في مواطن معينة إما لبيان فكرة ما يلقيها ابو العلاء الى ابن القارح ابتداءً وإما لبيان معنى كلمة غريبة أو نادرة(المعري، 1997م: 199–499).

2. الخبر الطلبي:

هو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه طالباً الوصول إلى معرفته والوقوف على حقيقته فيستحسن تأكيد الكلام الملقى إليه تقوية للحكم ليتمكن من نفسه(مطلوب، 2007م، 466/2). أو هو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته(مطلوب، 1999م، 107)، ففي هذه الحال يحتاج المتكلم إلى تقوية وتأكيد كلامه بمؤكد واحد كأن يكون بـ(قد أو إن أو سوف) وغيرها من المؤكدات.

وقد ورد الخبر الطلبي في (رسالة الغفران) في (274) موضعاً أي بنسبة (34،03%) من مجموع الجمل الخبرية فهو يحتل المرتبة الثانية بعد الخبر الابتدائي.

وابرز ما يميز هذا الضرب من الاخبار اسلوبياً هو ان المعري عندما يلجأ إلى تأكيد كلامه بمؤكد واحد يريد ان يبين موقفه أو مشاعره الخاصة به ازاء شخصية أو قضية علمية ما وهذا بخلاف لو قلنا ان الخبر الطلبي يتمثل في كون المخاطب متردداً في الحكم طالباً الوصول إلى حقيقة الأمر.

فأبو العلاء يريد بالخبر الطلبي ان يؤكد رأيه الخاص به بمعزل عن آراء سابقيه ومعاصريه من جهة أو يؤكد حقيقية مشاعره العاطفية ازاء شخصية ما كابن القارح مثلاً أو مكان اهل الجنة المفترضة.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

وغالباً ما يكون التأكيد بـ (قد) كما في: قوله "قد علم ادام الله جماله البراعة بسلامته"، وقوله "قد كان مثله مع الاسود بن زمعة"، وقوله "قد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور"، وقوله "وقد اثر شراب الفانية ورغب في الدنية"، وقوله "ثم ينصرف إلى لبيد فاذا هو قد أعطي بقاء التأبيد"(المعري، 1997م: 132-143)، أو التأكيد بـ(أنَّ) كما في: قوله "أنَّ في مسكني حماطة"، وقوله "أنَّ الحضب ضرب من الحيات"، وقوله "ما يعلم أنَّه حقيقي التأنيث"، وقوله "واعترف بأن اباريق مدامه (...) أمر هيّن"(المعري: 129-133). أو التأكيد بـ (إنَّ) كما في: قوله "رحم الله العجاج فإنَّه خلط في رجزه العلبط والسجاج"، وقوله "بأنَّه – ادام الله تمكينه – يخطر له حديث شيء"، وقوله "فإن الله انعم علىَّ ورفع عني البؤس"، وقوله "اني سألت ربي عز سلطانه ألا يحرمني في الجنة تلذذاً"، وقوله "ان الله – تقدست اسماؤه عز ملكاً وجل– يغفر ما عظم بما قل"، وقوله "انه المسكين قال هذه الأبيات و بنو ادم في دار المحن والبلاء"(المعري: 225-419).

3. الخبر الانكاري:

هو الخبر "الذي ينكره المخاطب إنكاراً يحتاج إلى ان يؤكد بأكثر من مؤكد"(مطلوب، 2007م، 466/2)، أي ان المخاطب ينزل منزلة الرافض للخبر حيث يكون الخبر عنده مفاجأة لا يمكن ان يصدق لذا يعمد المرسِل ان يؤكد جملته بأكثر من مؤكد واحد محاولة منه ان يصرف المخاطب من حال إلى حال أي من الرفض وعدم القبول إلى القبول وعدم الرفض.

وقد ورد الخبر الانكاري في (رسالة الغفران) في (163) موضعاً أي بنسبة (20.24%) من مجموع مواضع الجمل الخبرية وهو يأتي بالمرتبة الثالثة بعد الابتدائي والطلبي.

اما تأكيد الجمل فيكون من خلال:

أ . (إنَّ) مع اللام المزحلقة كما في: قوله "إني لأحار يا معشر العرب من هذه الأوزان"، وقوله "ان ذلك لعجب"، وقوله "ما هذه مما صدر عني وانك منذ اليوم لمولعٌ بالمنحولات"، وقوله "وان ثغراً يفتقر إلى قضيب البشام ليجشم حليفه بعض الاجشام"، وقوله "اني لأطول منك نفساً"، وقوله "وانك لمن بني جعدة وهل جعدة الا رائدة ظليم نفور"، وقوله "وان التخرص لكثير في الانس والجن"، وقول "واني لكاره قولك والخيل خارجة من القسطال"(المعري، 1997م: 197-343).

الملاحظ من هذه النصوص المؤكدة بـ (إن + اللام المزحلقة) ان ابا العلاء يظهر جانباً من شخصيته النقدية فهو ينكر بشدة بعض الظواهر انكاراً شديداً والدليل ورود كلمات دالة على الانزعاج والحيرة والتعجب كما في (أحار، عجب، منحولات، تخرص) فهو يريد إنكارها بقوة بالمؤكدات.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

ب . (أنّ) مع اللام المزحلقة: يُظهر استخدام "أنّ" المقترنة باللام المزحلقة نوعًا مختلفًا من التأكيد مقارنةً باستخدام "إنّ" واللام، حيث يُفهم منه الإيحاء بالرضا، والاطمئنان، والتعبير عن المودّة والولاء. ويتجلى هذا الأسلوب في أقوال المعري، مثل: "وأنّ الحماطة التي في مقري لتجد من الشوق حماطة ليست بالمصادفة إماطة"، "وأنّ في طمري لحضبًا وكلّ بأذاتي"، "وأنّ في منزلي لأسود هو أعزّ علي من عنترة على زبيبة" (المعري: 130–132).

ج . (أمّا) والفاء: تُعد "أمّا" من الحروف التي تجمع بين معنى الشرط والتوكيد، وغالبًا ما تُستخدم للتفصيل. ويُشترط أن يُقترن جوابها بالفاء الزائدة الرابطة (أميل بديع، د.ت: 149). ومن أمثلة ذلك في أقوال المعري: "فأمّا الحماطة المبدوء بها فهي حبّة القلب"، "فأمّا الأبيضَان اللذان هما شحم وشباب، فإنما تفرح بهما الرباب، وقد يبتهج بهما عند غيري، فأمّا أنا فيئسًا من خيري"، "فأمّا الأُقيثر الأسدي فإنه مني بقاشر"، "فأمّا الأنهار الخمرية فتَلعب فيها أسماك"، "أمّا نابغة بني جعدة فقد استوجب ما هو فيه بالحنيفية، وأما أنت يا أبا أمامة فما أدري ما هِيَانُك"، "أمّا ربش فمن قولهم: أرض ربشاء (...)، وأما السمّهة فشبيهة بالسفرة تُتخذ من الخوص، وأما الخَشّش فإن أبا عمرو الشيباني ذكر في كتاب الخاء أن الخشش ولد الظبية"، "وأما إشفاق الشيخ (...) فتلك سجيّة الأنيس"، "وأما العلماء الذين لقيهم فأولئك مصابيح الناجية وكواكب الداجية" (المعري، 1997م: ص131– 508).

ثانياً. صيغ الجمل الخبرية: تأتي الجملة الخبرية على صيغتين(السامرائي، د.ت، 184–185):

1. جملة خبرية اسمية.
2. جمله خبرية فعلية.

لقد اعتمد ابو العلاء في ابراز معانيه واغراضه الأدبية في رسالته إلى ابن القارح على هاتين الصيغتين، إذ ان لكل صيغة منهما دلالتها الخاصة التي تميزها عن الأخرى فنرى الجملة الحاملة للاسم تدل دائماً على الاستقرار والثبات بخلاف الجملة الخبرية الحاملة للفعل فإنها دالة على الاستمرار والحدوث والتجدد، وسنحاول ايراد بعض النصوص الخبرية الحاملة للاسم والفعل لبيان دلالتهما ضمن سياقاتهما: "ان في مسكني حماطة ما كانت قط أفانية ولا الناكزة بها غانية تثمر من مودة مولاي الشيخ الجليل"(المعري، 1997م: 129).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الملاحظ في هذا النص ان الجملة الخبرية الأولى جاءت حاملة للاسم فقوله: "ان في مسكني حماطة "فيه دلالة على ثبوت مكانة ابن القاح لدى ابي العلاء فهي منزلة غير قابلة للتغيير بتغير الزمن.

أما قوله "تثمر من مودة مولاي..." فهي جملة خبرية حاملة للفعل وفيها دلالة على صفة التجدد فمنزلة ابن القارح عند المعري هي اشبه بالنبت المتجدد في ثمره، وقوله "والحماطة ضرب من الشجر يقال لها إذا كانت رطبة افانية فاذا يبست فهي حماطة"(بنت الشاطئ، 1999م: 130).

الجملة الخبرية الأولى "الحماطة عند العرب ضرب من الشجر" هي جملة اسمية ثابتة في معناها لا تتغير ولا تتجدد وانما تحمل صفة الاستمرارية. اما قوله "يقال لها..." فهو جملة خبرية فعلية دالة على التجدد والحدوث فاذا كانت رطبة (وهي الحال المتغيرة الاولى) سميت أفانية واذا كانت يابسة (وهي الحال المتغيرة الثانية) سميت حماطة فالجملة الأسمية دلت على الثبوت والفعلية دلت على التجدد والحدوث، وقوله: "وفي تلك السطور كلم كثير كله عند الباري – تقدس – أثير فقد غُرِس لمولاي الشيخ الجليل – إن شاء الله – شجر في الجنة لذيذ اجتناء"، ونلاحظ أن جملة "كله عند الباري..." جملة دالة على ثبوت الصفة لموصوفها. ونتيجة لتلك الصفة الثابتة فهناك تجدد وحدوث في نتيجتها ألا وهو غرس الشجر في الجنة، فالفعل (غرس) دال على الحركية والحدوث، ويقال مثل ذلك في قوله: "والولدان المخلدون في ظلال تلك الشجر قيام وقعود (...) وتجري في اصول ذلك الشجر انهار تختلج من ماء الحيوان والكوثر يمدها في كل أوان"(المعري، 1997م: 140-141)".

أما النصوص التي بُنيت كليًا على الجملة الفعلية، فقد ظهرت في وصف المعري لحيوية الجنة وحركتها، وما فيها من لذائذ متجددة. ومن ذلك قوله: "وتهشّ نفوسهم للعب، فيقذفون تلك الآنية في أنهار الرحيق، ويصفقها الماذي المعترض أي تصفيق، فتتقارع تلك الآنية، فيُسمع لها أصوات تبعث بمثلها الأموات" (المعري: 172)، وكذلك قوله: "فيركب نجيبًا من نجب الجنة، خُلق من ياقوت ودر، في جوّ معتدل لا حر فيه ولا قرّ، ومعه إناء فيهج، فيسير في الجنة على غير منهج (...) فإذا رأى نجيبه يلمع بين كثبان العنبر وضيمران، وصل بصعبر، رفع صوته متمثلاً بقول البكري:

ليت شعري متى تخبّ بنا *****الناقة نحو العذيّب فالصيبون

ومن ذلك أيضًا قوله: "وينظر الشيخ في رياض الجنة، فيرى قصرين منيفين، فيقول في نفسه: لأبلغنّ هذين القصرين، وأسألنّ لمن هما. فإذا اقترب منهما، رأى على أحدهما مكتوبًا: هذا القصر لزهير بن أبي سلمى المزني، وعلى الآخر: هذا القصر لعبيد بن الأبرص الأسدي، فيعجب من ذلك" (المعري، 1997م: 182).

المتأمل في (رسالة الغفران) يجد ان نصوصها بنيت على خبرية الجملة الفعلية اكثر من خبرية الجملة الاسمية ومرد ذلك ان ابا العلاء اراد ان يدفع بالقارئ (ابن القارح المتلقي) إلى الشعور بالدهشة والحيرة والمشاركة الوجدانية ولاسيما في مواطن تصوير الجنة ولذائذها المتنوعة والمتعددة، الامر الذي يدفع إلى الالتحام الفكري والعاطفي المستمرين طوال عملية القراءة وهذا لا يتم إلّا عن طريق اظهار الجانب الحركي الدافع للسأم والملل والجمود من خلال حركية الافعال بشكل مكثف وواسع.

ثالثاً. أغراض الجملة الخبرية:

للخبر اغراض حقيقية أصلية وأغراض مجازية.

ـ الأغراض الحقيقية للخبر فهي:

الأغراض الحقيقية للخبر:

1ـ فائدة الخبر: وهي أن يُفهم المخاطب من الخبر حكماً جديداً لم يكن يعلمه من قبل، وهذا هو الغرض الأساسي والأصلي من استعمال الخبر. أي أن ذهن المخاطب كان خالياً من مضمون الحكم قبل تلقيه. ومثال ذلك قولنا: "نجح زيد"، حيث يُفاد السامع بحكم جديد.

2ـ لازم فائدة الخبر: ويُقصد به أن لا يكون الخبر جديداً بالنسبة للمخاطب، بل يُفيد أن المتكلم على علم بالحكم الذي يتضمنه الخبر، دون أن يضيف شيئاً إلى معرفة المخاطب. كقولنا: "أنت طالبٌ مجد"، أو "زاركم محمدٌ أمس" (مطلوب، 1999م، 115).

أما نصوص فائدة الخبر في "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري، فتتجلى في العبارات التالية: "فأما الحماطة المبدوء بها فهي حبة القلب"، "والرواية الأولى إنشاد النحو النحوين"، "إنما أنا صاحب قلمٍ وسِلْم، ولم أكن صاحب خيلٍ، ولا ممن يسحب طويل الذيل"، "ومن شأن طير الجنة أن يتكلم"، "الأشعار جمع شعر، والشعر كلام موزونٌ تقبله الغريزة، على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحسّ"، أما نصوص لازم فائدة الخبر في "رسالة الغفران"، فتتجسد في ما يلي: "قد علم – أدام الله جمال البراعة بسلامته – أن الحضب ضرب من الحيات، وأنه يُقال لحبّة القلب حضب"، "وذات أنواط – كما يعلم (الضمير يعود على ابن القارح) – شجرة كانوا يعظمونها في الجاهلية"، "وهو – أكمل الله زينة المحافل بحضوره – يعرف الأقوال في هذا البيت"، (المعري، 1997م: 131–179).

ـ الأغراض المجازية للجمل الخبرية في (رسالة الغفران):

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

خرجت الجملة الخبرية في رسالة الغفران عن إطارها الإخباري المباشر إلى أغراض مجازية متعددة، أبرزها ما يأتي:

1. المدح: يتجلى هذا الغرض في عدة مواضع، منها قول المعري: "إن في منزلي لأسودًا هو أعزّ عليّ من عنترة على زبيبة، وأكرم عندي من السليك عند السلكة"، وقوله أيضًا: "لا أفتأ دائبًا فيما رضي، على أنه لا مدفع لما قُضي، أعظّمه أكثر من إعظام لخم الأسود بن المنذر، وكندة الأسود بن معد يكرب، وبني نهشل بن دارم"، وقوله: "وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور، ومن قرأها مأجور" (المعري: 132-259).

2. التوبيخ: يُستعمل التوبيخ في مثل قوله: "فلقد آثر شراب الفانية، ورغب في الدنيّة الدانية"، وكذلك في قوله: "فإن كان أبو الهندي ممن كتب وعرف حروف العجم، فقد أساء في الإقواء"، وقوله: "أما الأقيشر الأسدي، فإنه مني بقاشر، وشقيّ إلى يوم حاشر"، ومن ذلك أيضًا قوله: "يقول – أدام الله تمكينه – لعديّ: جئت بشيئين في شعرك وددت أنك لم تأتِ بهما"، وقوله: "فقال: إنك لغبين الرأي، أتأمل أن آذن لك بغير إذن من ربّ العزة؟ هيهات هيهات"(المعري، 1997م: 143-200).

3. التعجب: ورد التعجب في مواضع مثل قوله: "هذان (أي زهير وعبيد) ماتا في الجاهلية!"، وقوله: "وإني لأحار يا معشر العرب في هذه الأوزان التي نقلها عنكم النقّاد وتداولتها الطبقات"، وقول لبيد: "سبحان الله يا أبا بصير! بعد إقرارك بما تعلم غُفر لك، وحُصلت في جنّة عدن"، وقوله أيضًا: "أتدري من أنا يا علي بن منصور؟ أنا توفيق السوداء (...)"، فيُرد عليه: "لا إله إلا الله، لقد كنتِ سوداء فصرتِ أنصع من الكافور"(المعري، 1997م: 182-287).

4. التعظيم: ويُستخدم هذا الغرض مقرونًا باسم الله عزّ وجل، كما في قوله: "وفي تلك السطور كلم كثير، كلّه عند الباري – تقدّس – أثير"، وقوله: "وفي قدرة ربنا – جلّت عظمته – أن يجعل كل حرف منها شبح نور"، وكذلك: "وإذا منّ الله – تبارك اسمه – بورود تلك الأنهار، صاد فيها الوارد سمك حلاوة"، وقوله: "إني سألت ربي – عزّ سلطانه – ألا يحرمني في الجنة تلذّذًا بأدبي الذي كنت أتلذّذ به في عاجلتي"، وأيضًا: "وإن الله – تقدّست أسماؤه، عزّ ملكه، وجلّ – يغفر ما عظم بما قلّ"(المعري، 1997م: 140-203).

5. الوعد: من ذلك قوله: "وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور، ومن قرأها مأجور، إذ كانت تأمر بتقبل الشرع وتعيب من ترك أصلاً إلى فرع (...)، ومثلها شفع ونفع، وقرّب عند الله ورفع"، وكذلك: "وتجري في أصول ذلك الشجر أنهار تختلج من ماء الحيوان والكوثر، يمدّها في كل أوان، من شرب منها النغبة فلا موت، قد أمن هنالك الفوت"(المعري: 140، 141).

6. التحسر: ورد التحسر في قول المعري: "ولو رأى تلك الأباريق أبو زبيد لعلم أنه كالعبد الماهن أو العبيد، وأنه ما تشبّب بخير ورضي بقليل المير"، وقوله: "لو نظر إليها علقمة لبرق وفرق، وظن أنه قد طرق، وأين يراها المسكين علقمة؟! ولعلّه في نار لا تغيّر، ماؤها للشارب وغير"، وكذلك قوله عن الأعشى: "ولو أنه أسلم، لجاز أن يكون بيننا في هذا المجلس، فينشدنا غريب الأوزان مما نظم في دار الأحزان"، وقوله: "شُغلت بخطابهم والنظر في حوريّهم، فسقط مني الكتاب الذي فيه ذكر التوبة، فرجعت أطلبه فما وجدته، فأظهرتُ الوله والجزع"(المعري: 144–256).

7. الدعاء: يتمثل في قوله: "كبَت الله عدوّه، وأدام رواحه إلى الفضل وغدوه"، وقوله: "ثبّت الله أركان العلم بحياته"، وقوله: "أدام الله جمال البراعة بسلامته"(المعري، 1997م: ص 129–132). ويمتاز هذا الغرض بارتباطه بالجمل الاعتراضية المقترنة بضمير المخاطب (ابن القارح).

8. الفخر: يُبرز المعري هذا الغرض في قوله: "فيقول الهاتف: أنا ذلك الرجل، منّ الله عليّ بعدما صرت من جهنم على شفير، ويئست من المغفرة والتكفير"، وقوله: "أمسك يا عبد الله، فإن الله أنعم عليّ، ورفع عني البؤس (...)، فشملتني بركة من أولئك، فدخلت الجنة أُرزق منها بغير حساب"(المعري:177، 198).

9. السخرية: تظهر السخرية في قوله: "فيقول أبو بصير: قد طال عمرك يا أبا ليلى، وأحسبك أصابك الفند، فبقيت على فندك إلى اليوم"، وقوله: "ويُقبل على كل واحدة منهن يترشف رضابها، ويقول: إن امرأ القيس لمسكين، تحترق عظامه في السعير، وأنا أتمثل بقوله":

وكأنّ المدام وصوب الغمام******وريح الخزامى ونشر القطر

يُعلّ به بَرد أنيابها***وإذا غرّد الطائر والمستحر(المعري: 227–286).

10. الإنكار: يتضح هذا الغرض في قول النابغة: "بذكاء وفهم، لقد ظلمني من عاب عليّ، ولو أنصف لعلم أنني احترزت أشدّ احتراز"، وقول الأعشى: "ما هذه مما صدر عني، وإنك منه اليوم مولع بالمنحولات"(المعري: 205–212).

الخاتمة ونتائج البحث:

الرحلة الغفرانية إبداع لغوي فني تجاوز به المعري العالم، وانطلق بخياله وفق معرفته وثقافته للموروث اللغوي العربي، فكتبها بمنهج متفرد، يكشف عن وعي الكاتب اللغوي والنقدي، وإبداعه الخلاق، كما وظف فيها اللغة توظيفا فنيا عكس أبعادها ووظائفها التي أخذت جانبا مهما في السرد، وكذلك في الجانب اللغوي الذي بدا أكثر اتساعا وجرأة وفي هذا البحث: توصلت إلى نتائج، أهمها:

ـ يعد أبو العلاء من أبرز أدباء العربية الكبار الذين يمثلون بفنهم الشعري اتجاهات متميزة، فقد كشف شعره مدى نضج العقلية العربية من الناحية الثقافية والفكرية، فهو من انصح الذين مثلوا مدرسة أبي تمام حيث جمع في أشعار ديوان سقط الزند أبرز خصائص العمود الشعري.

ـ تُظهر رسالة الغفران براعة المعرّي في التصوير الدقيق والخيال السردي، الذي استخدمه بوعي عميق ومعرفة واسعة. فهي تزخر بالنصوص الشرعية، والقصص الدينية، والظواهر اللغوية، مما يجعل هذا التراكم المعرفي جديرًا بالقراءة، ويعكس إبداعًا فريدًا من نوعه.

ـ بناء جمل رسالة الغفران على خبرية الجمل الفعلية أكثر من بنائها على خبرية الجمل الاسمية وذلك لإظهار الجانب الحركي الدافع للسأم والملل والجمود مما يدفع بالقارئ على الشعور بالدهشة والمشاركة الوجدانية.

ـ خرج أسلوب الخبر في رسالة الغفران إلى أغراض مجازية أكثر بكثير من الأغراض الحقيقية.

ـ أبرز أغراض أسلوب الخبر المجازية: المدح، التوبيخ، التعجب، التعظيم، الوعد، التحسر، الدعاء، الفخر، السخرية، الإنكار.

ـ استخدام المعري لأساليب التركيب الخبر وهو بحسب كثرتها: الخبر الابتدائي (368) موضعا اي بنسبة (45.71%) من مجموع الجمل الخبرية البالغ عددها (805) جمل، الخبر الطلبي، (274) موضعا اي بنسبة (34.03%) يحتل المرتبة الثانية، الخبر الانكاري (163) موضعا اي بنسبة (20.24%) يحتل المرتبة الثالثة.

المصادر والمراجع:

1. ابن بطوطة، 2006م، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مؤسسة الحسنى، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
2. ابن خلكان، 1948، وفيات الأعيان، القاهرة، د. ط.
3. ابن فارس، احمد، 1997م، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
4. بديع، اميل، د.ت، موسوعة النحو والصرف والاعراب، انتشارات استقلال، ط4.
5. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، 1999م، الغفران دراسة نقدية، دار المعارف، القاهرة، د. ط.

6. الجرجاني، عبد القاهر، 2001م، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1.
7. الجرجاني، عبد القاهر، 1366هـ، دلائل الإعجاز، دار المنار، مصر، ط3.
8. الحموي، ياقوت، د.ت، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج1.
9. خاسرو، ناصر، سفرنامة، 1993م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1.
10. دي سوسير، فرديناند، 1988م، علم اللغة العام، مكتبة بيت الموصل، بغداد، العراق، ط3.
11. الرازي، فخر الدين بن محمد، 2004م، نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز، دار الصادر، بيروت–لبنان، ط1.
12. الراغب، عبدالسلام احمد، 2005م، الدراسة الادبية النظرية والتطبيق، دار القلم، حلب، ط1.
13. السامرائي، فاضل صالح، د.ت، الجملة العربية تأليفها واقسامها، المجمع العلمي العراقي، بغداد، د. ط.
14. سيبويه، 1983م، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط3.
15. سيد قطب، 1954م، النقد الأدبي اصول ومناهجه، دار الفكر العربي، ط2.
16. السيوطي، جلال الدين، 2006م، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2.
17. الشمري، علي عبدالفتاح، 2001م، الجملة الخبرية في نهج البلاغة (دراسة نحوية)، (رسالة ماجستير) كلية التربية جامعة بابل، د. ط.
18. الشهري، عبدالهادي بن ظافر، 2004م، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004م.
19. عبد المطلب، محمد، 1994م، البلاغة والاسلوب، مكتبة لبنان ناشرون، ط1.
20. فرج، مجدي، 2008م، القراءة النصية في الأدب والفن، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط1.
21. فضل، صلاح، 1992م، البلاغة وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط.
22. القزويني، الخطيب، د.ت، الإيضاح، مطبعة السنة المحمدية.
23. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1.
24. كراهام هاف، 1980م، الاسلوب والاسلوبية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د. ط.

25. مبارك، عبد الحسين، 1989م، قضية الاعراب في النحو العربي، مجلة الضاد، ج3، تموز، د.ط.
26. مطلوب، احمد، 1987م، بحوث لغوية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1.
27. مطلوب، احمد، 1999م، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقي، ط2.
28. مطلوب، احمد، 2007م، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط2.
29. المعري، ابو العلاء، 1997م، رسالة الغفران، دار المعارف، القاهرة، ط10.
30. الهاشمي، السيد احمد، 1999م، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة الايمان بالمنصورة، مصر، ط1.